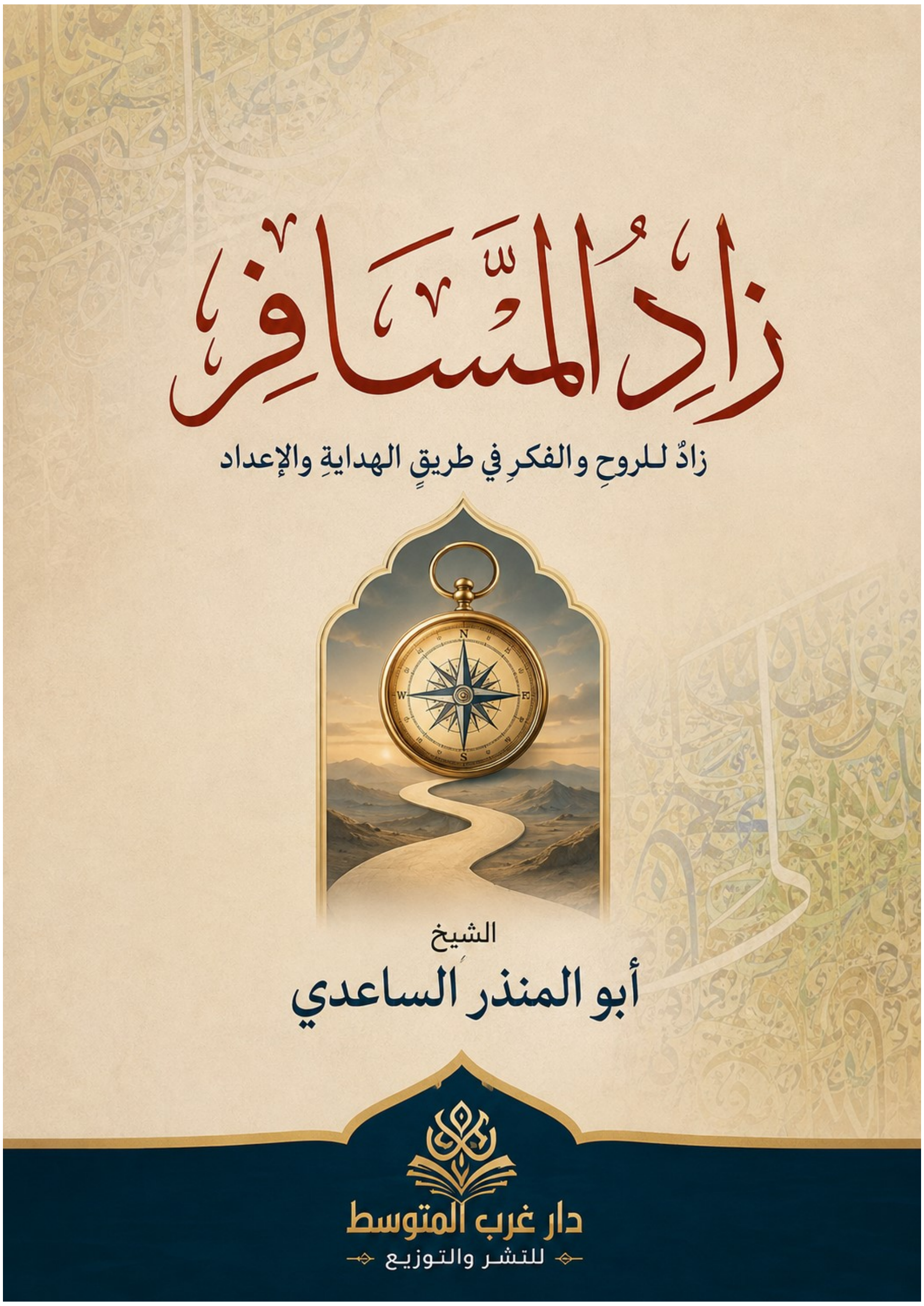

زادِ المسافِر
زادٌ للروحِ والفكرِ في طريقِ الهدايةِ والإعداد
الشيخ
أبو المنذر الساعدي
دار غرب المتوسط
للتشر والتوزيع

زاد المسافر

بقلم الشيخ أبو المنذر الساعدي

بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة، ولم يكلف عباده بما لا طاقة لهم به، وإنما أنزل في كتابه: {ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها}، وقوله عز وجل: {لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها}، ولقننا الله أن ندعوا: {ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به}، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (قال الله؛ قد فعلت).

وبهذه الأدلة تقرر في أصول الشريعة أنه لا تكليف إلا بمقدور.

والجهاد في سبيل الله تعالى باعتباره فرضاً لا يخرج عن هذه القاعدة، فلم تستثقل كثيراً من النفوس هذه الفريضة ويرونها من باب تكليف ما لا يطاق؟! حتى آل الأمر عند أناس إلى إسقاطها والتنصل منها! والحقيقة؛ أن هذا الإستثقال والشعور بالحرج هو عقوبة ربانية ونتيجة طبيعية للتفريط في أسباب وخصال جعلها الله عز وجل سفينة على أداء هذه العبادة العظيمة.

وهذه الخصال قد يكون بعضها موهوبة من عند الله بالدرجة الأولى وقد يكون الآخر مكتسباً، وإن كان كل من عند الله، ولكن الوهبي منها يمكن تعاهده وتنميته حتى يصير سجية وخُلقاً، فخصلة الشجاعة مثلاً – وهي خصلة مهمة للمجاهد – هبة من الله تعالى، ولكنها يمكن أن تكتسب.

"ففي معناة الجهاد في سبيل الله والتعرض للموت في كل جولة ما يعود النفس الإستهانة بهذا الخطر والخوف الذي يكلف الناس الكثير من

نفوسهم وأخلافهم وموازينهم وقيمهم ليتقوه وهو هين عند من يعتاد ملاقاته"[1].

ومن رحمة الله وتبارك وتعالى بعباده أنه إذا أمرهم بأمر فيه نوع مشقة فإنه يشرع لهم ما يهون عليهم معالجته ويدلهم على المداخل التي تذلل صعوبته وتذيقهم حلاوته، فسبحان من هذه شريعته، وكلما زاد حظ المرء من هذه الخصال صار لحوقه بركب المجاهدين أيسر وثباته عليه أقرب.

وهذه الخصال لا يستغني عنها المقاتل محقاً كان أو مبطلاً، ولذلك تجد في الجيوش الطاغوتية جهازاً يسمونه "إدارة التوجيه المعنوي"، مهمته إقناع الجندي بأنه على حق! وتعبئته نفسياً لمواجهة العدو.

فأول ما يحتاجه المجاهد ليكون له زاد لمسيره إلى الله تعالى هو اليقين:

اليقين بالآخرة:

{وبالآخرة هو يوقنون}، وبما أعد الله تعالى للمجاهد والشهيد من النعيم المقيم.

من مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط منها، قالا: أمّا هذه الدار فدار الشهداء)[2].

[1] في ظلال القرآن: 6/3286.

[2] رواه البخاري من حديث سمرة في كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وما له على الأرض شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[3].

ولما حرض الله سبحانه عباده على الإجتهاد في طلب العدو ذكرهم بأنهم وعدوهم سواء في القروح والجراح والمتاعب والآلام، ولكنهم يفضلون عدوهم برجائهم ما عند الله تعالى، {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً}.

"ولربما أتت على العصبة المؤمنة فترة لا تكون فيها معركة مكشوفة متكافئة ولكن القاعدة لا تتغير، فالباطل لا يكون بعافية أبداً، حتى ولو كان غالباً، إنه يلاقي الآلام من داخله ومن صراع بعضه مع بعض، ومن صراعه هو مع فطرة الأشياء وطبائع الأشياء، وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تحتمل ولا تنهار، وأن تعلم أنها إن كانت تألم فإن عدوها كذلك يألم والألم أنواع والقرح ألوان، {وترجون من الله ما لا يرجون}، وهذا هو العزاء العميق.. وهذا هو مفرق الطريق، {وكان الله عليماً حكيماً}، يعلم كيف تعتلج المشاعر في القلوب، ويصف للنفس ما يطبها من الألم والقرح"[4].

اليقين بأنه على الحق:

يؤدي فريضة من فرائض الله تعالى، أمر مولاه بها، فهو يقوم بها، وهذا هو تعامل الأولين مع الأمر الإلهي بكل بساطة ونظرية دون تكلف ولا تعسف.

---

[3] رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا.
[4] في ظلال القرآن: 2/750.

ولذلك يفر كثير من المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق من لفظ "فريضة" إلى مصطلح "وسيلة"، حتى يتمكنوا من طرحها على بساط البحث العقلي بمعزل عن نصوص الشريعة وأوامر الله عز وجل، ويجدوا "مدخلا" للقول بأن هناك "وسائل" و "بدائل" يمكن توصل إلى المطلوب، ولو ألزموا بالتعامل مع الجهاد على أنه فرض محكم لما كان لكلامهم هذا سبيلا إلى العقول الضعيفة والنفوس الهزيلة.

ومن أعجب ما نسمع في هذه الأيام قول القائل عائباً مخالفه؛ "فلان عقليته فقهية"! لأنه يتعامل مع النصوص الشرعية بتلك البساطة ولأنه بعيد عن المصطلحات البراقة التي يظنها المخدوعون دليلاً على الوعي وعدم التخلف الجمود، وهذا لعمر الله هدم لركن الدين واسقاط للتكاليف.

والمقصود أن يقين المسلم بأنه على الحق وأن عدوه على الباطل؛ حاد له إلى مواطن القتال والنزال ومظان القتل والجراح، وإذا خالج قلب المرء ريب في حقانية جهاده، فقل يا زلة القدم.

وهذا باب إبليسي ومدخل شيطاني كثيراً ما يلجه شياطين الجن ليخذلوا جند الله ويثبطوهم، فقد لا يعوز البعض شجاعة ولا ينقصه شوق إلى الجنان ونعميها، ولكن يدخل عليه الفساد من باب الورع الناشيء عن قلة العلم ووضع النصوص في غير مواضعها وأنه "لا يحل دم أمريء مسلم"، و "لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً"، و "المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله"، وإذا كان له أبوان تمثل له حديث: (ففيفهما فجاهد)! أو أبناء تذكر حديث: (كفى بالمرء إثماً أن يضيع ما يعول)!

ولابتعاد أمتنا عن عبادة الجهاد – إلا من رحم الله – صار القتل مستبشعاً بإطلاق، ولو كان المقتول من أكفر الخلق، وصارت مفارقة الأباء والأمهات عقوقاً ولو كان الباعث هو الإلحتاق بركب الجهاد المتعين.

اليقين بنصر الله تعالى لعباده:

تصديقاً بوعده في قوله سبحانه وتعالى: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون}، وقوله: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}، وقوله: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً}.

وهذا اليقين بنصر الله لا يغشيه عند المؤمن البصير ما يكون للباطل من جولات ينتفش فيها ويزهو، ولا يعكر صفوه ما يصيب أهل الحق من حين لآخر، لأنه علامة من علامات صحة المنهج واستقامة الطريق.

فعن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس أخبره: (أن أبا سليمان أخبره: أن هرقل قال له: سألتك كيف كان قتالكم إياه فزعمت أن الحرب سجال ودول فكذلك الرسل تبتلى ثم يكون لهم العاقبة)[5].

والحرب سجال.

قال ابن القيم رحمه الله: (إن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا – أن ينصروا – مرة ويُدال عليهم أخرى لكن يكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المسلمون وغيرهم ولم يتميز

[5] أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى {هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين}.

الصادق من غيره، ولو انتصر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة. فاقتضت حكمة الله أن يجمع لهم بين الأمرين... الخ كلامه)[6].

ويحتاج المجاهد في سيره إلى الزهد في الدنيا:

ومعنى الزهد في الشيء الإعراض عنه لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه.

يقال: "شيء زهيد أي قليل حقير"[7].

والزهد ثمرة من ثمرات اليقين، وبهما يكون صلاح المسلمين، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل).

وأعدى أعداء الجهاد؛ هو الترف والإنغماس في اللذائذ التي تثقل المرء وتصرفه عن اللحوق بالصادقين، قال تعالى: {وإذا نزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم قالوا ذرنا نكن من القاعدين}.

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يحكي سبب تخلفه يوم تبوك: (وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أصعر)، أي أميل إلى البقاء عندها[8].

---

[6] وهو كلام نفيس يراجع في "زاد المعاد"، الجزء الثاني، ص 99، عند كلامه على غزوة أُحد وما فيها من الحكم والفوائد.
[7] جامع العلوم والحكم: ص 434.
[8] وحديثه في الصحيحين وغيرهما.

ويحتاج المجاهد إلى سلاح الصبر:

ليستعين به على لأواء الطريق، ويحصل بسببه معية الله الخاصة، {والله مع الصابرين}، {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين}.

وليس الصبر أمراً وهبياً محضاً لا يمكن اكتسابه، بل يمكن تمرين النفس عليه، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن يتصبر يصبره الله وما عطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)[9].

وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال تعالى: {وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون}.

ويحتاج المجاهد إلى الصلاة والتضرع إلى الله تعالى:

اقتداءً بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، فقد ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: "اللهم انجز ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبداً")، قال: (فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فرده، ثم التزمه من ورائه ثم قال: "يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك"، فأنزل الله عز وجل: {إذ تستغيثون ربكم... الآية}).

---

[9] رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الإستعفاف عن المسألة.

وثبت في سنن أبي داود من حديث حذيفة يوم الأحزاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى، ذلك امتثال لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة}.

وهكذا إذا اجتهد المرء في تحصيل هذه الخصال وترويض نفسه على التخلق بها، فعسى أن تدركه رحمة الله تبارك وتعالى، فيسهل عليه الإلتحاق بركب الجهاد المبارك إن لم يكن من أهله، أو يثبت على طريق الحق إن كان من أهله.

والله الموفق
وسبحانك اللهم وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

المصدر عن نشرة الأنصار

ترجمة المؤلف

السيرة الذاتية

الاسم : سامي مصطفى خليفة الساعدي

مكان وتاريخ الميلاد : طرابلس 21 – 03 – 1966

الحالة الاجتماعية : متزوج وأب لأربعة أولاد

عنوان السكن : طرابلس / بن عاشور

المؤهلات العلمية :

درس الهندسة المدنية في جامعة طرابلس

درس العلوم الإسلامية على يد الشيخ عبداللطيف الشويرف ، واللغة العربية على يد الشيخ عبدالسلام التهامي ، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مصطفى قشقش .

درس العلوم الإسلامية في الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية .

متحصل على شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية من جامعة (وفاق المدارس) فيصل أباد – باكستان .

الخبرات والوظائف :

عمل أستاذاً في علوم اللغة العربية بكافة فروعها ومستوياتها في جامعة الدراسات كراتشي – باكستان

اشتغل على مدى سبعة وعشرين عاما بتدريس العلوم الإسلامية المختلفة في عدة بلدان

باحث وكاتب في الشؤون الإسلامية ، له عدد من المؤلفات منها :

كتاب الجمعة آداب وأحكام (دراسة حديثية فقهية مقارنة)

كتاب ويل الغمامة في أحكام الإمامة (في فقه السياسة الشرعية) بالإضافة إلى المقالات الفكرية والفقهية والسياسية

وزير سابق لرعاية أسر الشهداء والمفقودين بعد الثورة.

أبرز المهام والأنشطة الحالية :

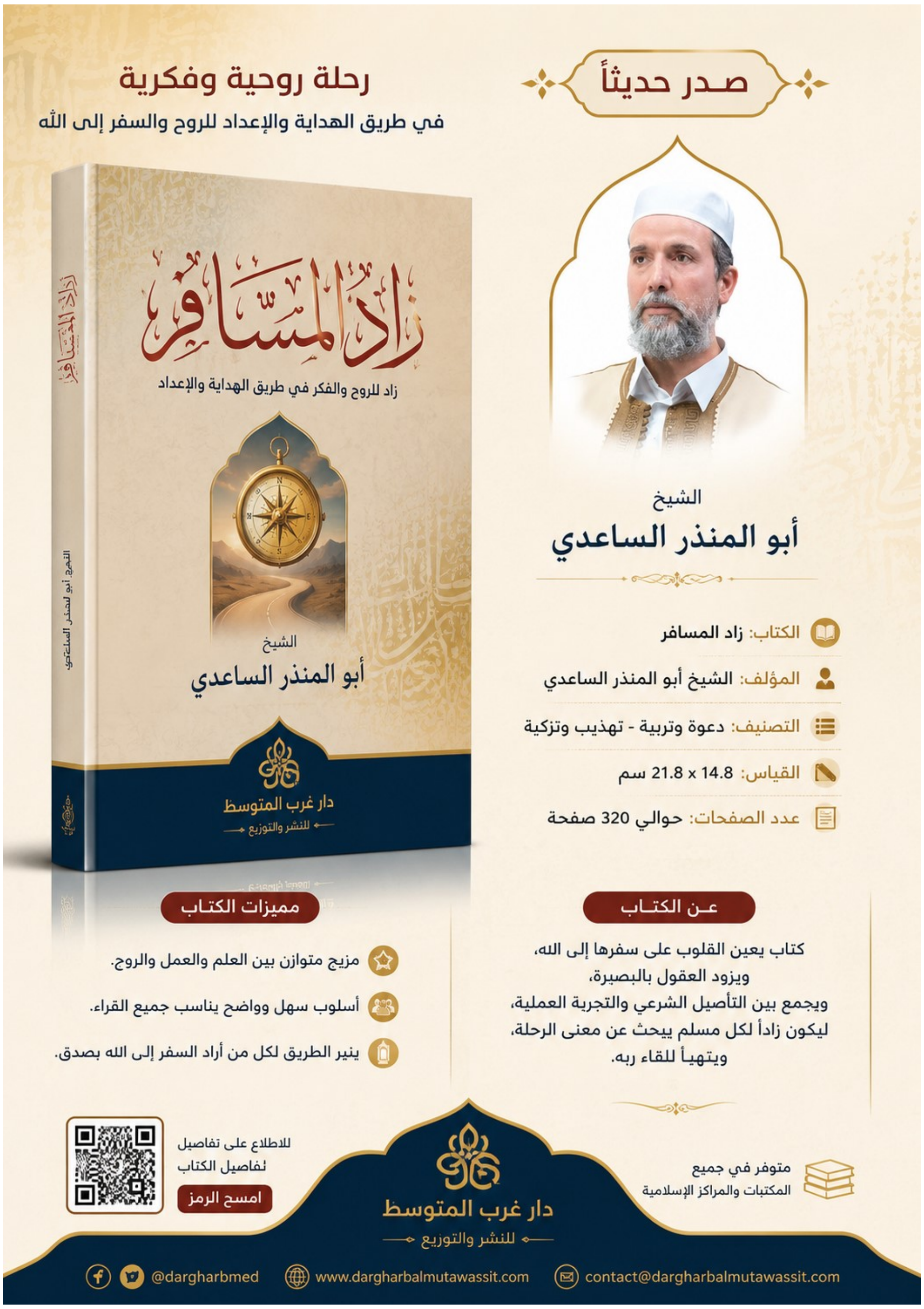
خطيب وداعية ومدرس متعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

عضو مجلس الأمناء في هيئة علماء ليبيا

رئيس مجلس حكماء وأعيان طرابلس المركز

مدير مكتب التوجيه الدعوي التابع لدار الإفتاء الليبية

أمين عام مجلس البحوث والدراسات الشرعية بدار الإفتاء



صدر حديثاً
رحلة روحية وفكرية
في طريق الهداية والإعداد للروح والسفر إلى الله
زاد المسافر
زاد للروح والفكر في طريق الهداية والإعداد
الشيخ
أبو المنذر الساعدي
دار غرب المتوسط
للنشر والتوزيع
الشيخ
أبو المنذر الساعدي
الكتاب: زاد المسافر
المؤلف: الشيخ أبو المنذر الساعدي
التصنيف: دعوة وتربية - تهذيب وتزكية
القياس: 14.8 x 21.8 سم
عدد الصفحات: حوالي 320 صفحة
مميزات الكتاب
مزيج متوازن بين العلم والعمل والروح.
أسلوب سهل وواضح يناسب جميع القراء.
ينير الطريق لكل من أراد السفر إلى الله بصدق.
عن الكتاب
كتاب يعين القلوب على سفرها إلى الله،
ويزود العقول بالبصيرة،
ويجمع بين التأصيل الشرعي والتجربة العملية،
ليكون زاداً لكل مسلم يبحث عن معنى الرحلة،
ويتهيأ للقاء ربه.
للاطلاع على تفاصيل
تفاصيل الكتاب
امسح الرمز
دار غرب المتوسط
للنشر والتوزيع
متوفر في جميع
المكتبات والمراكز الإسلامية
@dargharbmed
www.dargharbalmutawassit.com
contact@dargharbalmutawassit.com